دور البصرة في الفتوحات الاسلامية في العصر الراشدي

د.جاسم صكبان علي
كلية التربية للبنات – متقاعد

الملخص

أسس العرب المسلمون البصرة سنة ١٤هـ/٦٣٥م لتكون قاعدة الجيوش العربية الاسلامية المتوجهة لفتح جنوب العراق من الاحتلال الفارسي. ثم توسعت القاعدة وغدت تدير جبهة قتالية واسعة تمتد الى خراسان شرقاً، حيث اسهمت في تحرير العراق، الاحواز، قاشان، اصفهان، كرمان، سجستان، وخراسان.

وقع اختيار العرب على منطقة البصرة لتكون قاعدة للجيوش العربية الاسلامية لاسباب كثيرة منها موقعها العسكري حيث تقدم المواقع والعوامل الطبيعية بين البصرة ومركز الخلافة العربية الاسلامية في المدينة المنورة وبذلك ضمنت للخلافة العربية الاسلامية الاتصال السريع بها وسهلت كثيراً ايصال الامدادات والمؤن العسكرية لها.

The War Importance of Basra in the Islamic Conquests in the Rightly Guided Caliphs Period

Dr. Jassim Sagban Ali
College of Education for Women – Retired

Abstract

There are many reasons made Basra a good defense, first of all was the establishment of the famous Arab tribes, like Bakir bn. Wail and Tamim. Besides there were A lot the armed forces. In addition to that the strategic place of Basra. All these reasons played a good part when the war broke out.

The Arabic tribes played a good part in the war to engaged Persians, and prevent them from sending any helps to their armies against the Kufain who were fighting Persians in the North of Iraq. While the Basrain army aiming to Conquer the south of Iraq.

Basra become the first strategic place for the Islamic movement of the conquers. Latter on Kufa and Bahrain were the second and third.

The Muslims guranted the pupils of book their life, religion, posseasion and no-interference in their religious affairs.

استناداً الى البلاذري والطبري يظهر لنا أن الخليفة عمر بن الخطاب (رض) قد أهتم كثيراً باختيار موقع البصرة. فقد اصدر الى عتبة بن غزوان يأمره بالتوجه الى جنوب العراق ويتخذ له قاعدة في مكان يتاخم بلاد فارس على طريق الصحراء.[١] على ان لايفصل هذه القاعدة عن المدينة المنورة نهر أو بحر[٢]، وأن يكون هذا الموقع صالحاً لسكن الجند قريباً من الماء والمرعى[٣].

وتسيطر منطقة البصرة على المدخل الجنوبي للعراق مما جعلها ذات موقع عسكري طبيعي. وصف المقدسي موقع البصرة قائلاً:

((مدينة بين فارس وديار العرب وحد العراق على بحر الصين))[٤].

وللبصرة ميزة دفاعية جيدة جداً وذلك لقربها من شط العرب والخليج العربي وملاصقتها للبطائح من الشمال،[٥] فهي بهذا تتمكن من الدفاع عن نفسها من الشمال والشرق وبذلك كانت ذات موقع عسكري حصين. يضاف الى ذلك عدم فصلها بحاجز طبيعي عن الصحراء جعلها تتصل بمركز الخلافة في المدينة المنورة بسهولة ويسر تضمن وصول الامدادات والمؤمن العسكرية دون ان يعيقها حاجز طبيعي وبذلك تتمكن من مواجهة الاخطار التي تداهمها من جهة فارس.

وقد اختيرت منطقة البصرة قريباً من المناطق التي استقرت فيها القبائل العربية، حيث كانت هذه القبائل منتشرة في منطقة البصرة وكثيراً ماتصدت للفرس قبل الاسلام. وقد فكر عمر بن الخطاب (رض) بذلك عندما اختار هذه المنطقة حيث أصبحت هذه القبائل فيما بعد من المصادر المهمة التي زودت الجيوش العربية الاسلامية بالمقاتلين الذين اسهموا في عمليات التحرير. ومن أبرز هذه القبائل العربية التي كانت منتشرة في بادية البصرة قبيل حركة الفتوح الاسلامية، قبيلة تميم وهي بطن من مضر من العدنانيين[٦]، وقد انتقلت تميم من منازلها في نجد وتجولت في عدة أماكن وانتشرت في بادية

البصرة[٧] وأماكن اخرى امدت من اليمامة والبصرة حتى وادي العذيب من أرض الكوفة، لكن أكثرهم تركز في بادية البصرة، يدل على ذلك ما رواه الطبري من أن هذه القبيلة كانت تتصدى للفرس قبيل الفتوح في منطقة البصرة. ومن قادتها الذين تزعموا حملات ضد الاحتلال الفارسي في جنوب العراق حرملة بن مريطة وسلمى بن القين[٨] وقد شكلت تميم جزءً كبيراً من جيش خالد بن الوليد بعد انضمامهم اليه عند قدومه الى جنوب العراق سنة ١٢هـ/٦٣٣م واشتركت تميم في معركة ذات السلاسل ضد الفرس تحت قيادة عاصم بم عمرو التميمي.[٩]

وقد حاول الفرس استغلال توجه خالد الى الحيرة فهاجموا المسلمين في منطقة البصرة فتصدى بنو تميم لهم، وردهم على اعقابهم وقتلوا قائدهم الانوشجان.[١٠] وقد انضم بنم تميم الى جيوش عتبة بن غزوان الذي ارسله عمر بن الخطاب الى منطقة البصرة: روى البلاذري ((اتاها عتبة وانضم اليه سويد بن قطبة ومن معه من بكر بن وائل وبني تميم))[١١].

ومن القبائل العربية المعروفة والكثيرة العدد وسعة المنازل في البصرة هي بكر وائل وهم بطن من ربيعة ومن العدنانيين[١٢] ايضاً وقد لقبت بالقاب منها: الارحاء والروقان والجماجم والجفان[١٣] واستناداً الى الهمداني فقد امتدت منازل بكر بن وائل من تهامة الى البحرين الى سيف كاظمة ثم الابلة ثم هيت.[١٤]

وقد استقر بنو شيبان وهم بطن من بطون بكر بن وائل في بادية البصرة واستناداً الى المصادر الاولية فإن انتشار بكر بن وائل وتميم كان متجاوراً ومتداخلاً احياناً وقد ساعد هذا التقارب على اتحادهما للوقوف ضد الوجود الفارسي في العراق قبيل حركة الفتوح الاسلامية. وقد أبلوا بلاءاً حسناً في مقاومة الفرس حتى نجح العرب في الانتصار عليهم في معركة ذي قار. وقد لعبت القبيلتان دوراً مهماً في تشكيل الجيوش العربية الاسلامية التي فتحت العراق وبلاد فارس.

وهناك ميزات اخرى ميزت البصرة وجعلتها قاعدة للفتوح الاسلامية فهي مواجهة للعدو الفارسي لوجود العديد من المصالح الفارسية كالأبلة وكاظمه والخريبة.[١٥]

وقد كانت مسلحة الابلة اكبرها وأهمها. ويفهم من الطبري انه كان فيها اكبر قوة فارسية في جنوب العراق فقد وصفها بأنها ((أعظم فروج فارس شأناً وأشدها شوكة)).[١٦] وكان قائد الحامية (هرمز) من أشد الفرس كراهية للعرب. قال الطبري أنه كان ((...يحارب العرب في البر والهند في البحر))[١٧]. وكان أسوء امراء فارس ((جواراً للعرب)) وقد ضرب العرب فيه المثل في الخبث فقالوا ((أخبث من هرمز، وأكفر من هرمز)).

ونظراً لسوء المعاملة التي عاناها العرب من قواد هذه المسالح، فقد شنت القبائل العربية المنتشرة في بادية البصرة أعنف الهجمات عليها. وبعد الانتصار الكبير الذي حققته بكر بن وائل ضد الفرس في معركة ذي قار ازداد حماس القبائل العربية وبدأت تشن الحملات المنظمة المتتالية ضد الاطراف الغربية من دولة الفرس، فأضطر الفرس الى مصالحة هذه القبائل وخاصة قبيلة بكر بن وائل فأعطوا الابلة والمناطق المحيطة بها الى رئيس هذه القبيلة (قيس ين مسعود الشيباني)[١٨] ولكن هذه السياسة فشلت بدليل قيام بعض قادة بكر بن وائل وتميم أمثال سويد بن قطبة بحملات ضد الفرس في منطقة البصرة.[١٩]

ومن خلال هذه الحملات بانت الاهمية العسكرية لمنطقة البصرة للخليفة أبي بكر (رض) ولذا فقدارسل خالد بن الوليد اليها ليساند القبائل العربية وليواصل الجهاد ضد الفرس وضرب مسالح الفرس الموجودة في منطقة البصرة كالغربية والابلة وكاظمه لمنعها من ضرب مؤخرة جيش المسلمين المتوجه نحو الحيرة.

وخوفاً من احتمال قيام الفرس بارسال جيوشهم من منطقة البصرة لمساندة جنودهم في منطقة القادسية بعد أصبح الصدام بينهم وبين المسلمين في القادسية امراً وشيكاً، أراد عمر بن الخطاب أن يشتت الجيش الفارسي ويمنعه من ارسال امدادات الى منطقة القادسية. لذا فقد ارسل عتبة بن غزوان على رأس قوة لمشاغلة الفرس في البصرة وما حولها وذلك بتصعيد العمليات التي كانت تقوم بها قبيلة بكر بن وائل ليحول دون ارسال مساعدات فارسية الى الجيس الفارسي في منطقة القادسية.[٢٠]

لقد اوضحت رسالة عمر بن الخطاب (رض) الى عتبة بن غزوان الاهمية العسكرية لمنطقة البصرة اذ كتب اليه ((يا عتبة ان اخوانك من المسلمين قد غلبوا على الحيرة وما يليها... وقد بعثتك في هذا الجيش فاقصد أهل الاحواز، فاشغل اهل تلك الناحية ان يمدوا اصحابهم بناحية السواد على اخوانكم الذين هناك وقاتلهم مما يلي الابلة))[٢١].

وازداد ضغط جند البصرة وتوسعت حركاتهم العسكرية ضد الفرس فامتدت الى الاحواز، ونجحوا في مشاغلة الفرس ومنعهم من ارسال الامدادات والمؤن من هذه المناطق الى الجنود الفرس المجتمعين في نهاوند لملاقات جند الكوفة[٢٢]. وساهموا مساهمة فعالة في معركة نهاوند فقد كان مقاتلوا البصرة يشكلون ثلث جيش العرب المسلمين في نهاوند.[٢٣] ومن هنا يتضح ان البصرة لعبت دوراً مهماً في مشاغلة الفرس في منطقة البصرة وخارجها لمنعم من ارسال امدادات ومؤمن فارسية لمحاربة جند الكوفة وفسح المجال للجند الكوفي لتمدير الجيش الفارسي وفتح ارض العراق ومن ثم الانسياح الى فارس.

ارادت القيادة العربية من البصرة ان تكون قاعدة تمويل وامدادات لحركات الفتوح العربية الاسلامية خارج جزيرة العرب، لفتح العراق من الاحتلال الفارسي، وتخليص الشعب الفارسي من حكامه المستبدين الذين حالوا بين شعبهم وبين اعتناق دين الاسلام، بعد ان ابتعدوا عن مركز التموين (المدينة المنورة) فاصبحت الحاجة ماسة الى منطقة البصرة لتكون قاعدة عسكرية ثابتة ونقطة ارتكاز وقاعدة حربية بقيم فيها المقاتلون بعد انصرافهم من الحرب ثم ينطلقون منها لمواصلة الجهاد. ولتكون مركز تمويل وامداد للمجاهدين بالجند والمؤن. وبعد فترة قصيرة اصبحت البصرة القاعدة الاولى لحركات التحرير في المشرق تليها الكوفة والبحرين.

ذكرت المصادر ان الكثير من الامدادات وصلت الى سعد من البصرة قبل معركة القادسية واثنائها.[٢٤]

ونجح جيش البصرة في فك الحصار عن جيش العلاء بن الحضري والي البحرين عندما هاجم العلاء اقليم فارس من البحرين لكن جيشه حاصره الفرس هناك. فكتب عمر بن الخطاب (رض) الى عتبة يأمره بنجدة العلاء قبل ان تطبق عليه الفرس. فارسل عتبة جيشاً بصرياً وتمكن هذا الجيش من انقاذ العلاء والحاق الهزيمة بالفرس[٢٥].

تتضح مما سبق أهمية البصرة باعتبارها قاعدة امداد للعرب المسلمين في كثير من معارك الفتوح الاسلامية في العراق وفارس.

وأسهمت البصرة في معارك الفتوح في المشرق بشكل فعال وواضح. فبعد الانتصار الذي حققه خالد بن الوليد على الفرس في معركة ذات السلاسل في منطقة البصرة ضعفت معنويات الفرس وارتفعت معنويات العرب القتالية واطلعوا على طريقة التفكير الفارسي في الحروب ومهدت الطريق للجيوش العربية في التوغل جنوب العراق وضرب الجيش الفارسي في المسالح المنتشرة في منطقة البصرة وبشكل خاص مسلحة الابلة ثم اندفع المسلمون الى الحيرة[٢٦] وكان للعمليات التي قام بها خالد في منطقة البصرة أثرها الفعال في اضعاف الجيش الفارسي في جنوب العراق وقوى النشاط الحربي الذي كانت تقوم به القبائل العربية بزعامة سويد بن قطبة حتى لعد أن توجه خالد الى منطقة الحيرة[٢٧].

كان عمر بن الخطاب (رض) قد ركز على منطقة البصرة لذا فقد أمر عتبة بن غزوان بالذهاب اليها، وكان يهدف من ذلك مشاغلة الجنود الفرس ومنعهم من اسناد الجيش الفارسي الموجود في منطقة القادسية، ثم فتح منطقة البصرة.[٢٨] وعندما وصل اليها عتبة اتخذ الخريبة قاعدة لضرب المسالح الفارسية الاخرى وخاصة الابلة، لانها اكبر المسالح واقواها.

ويظهر ان عتبة كان قد انشغل عن تحرير منطقة البصرة لاشتراكه في معارك ضد الفرس الذين اعترضوه لعرقلة طريقه نحو مركزهم في الابلة، لكنه استغل فرصة خروج الحامية الفارسية من ابلة فخطط للهجوم عليها قبل ان تبدأ هي بالهجوم، فانتصر عليها وانهزمت الجيوش الفارسية وانسحبت شمالاً فدخلتها الجيوش العربية الاسلامية جون قتال[٢٩] ثم اتخذها العرب قاعدة لتحرير مناطق اخرى. ونجح عتبة في تحرير المنطقة الممتدة عل دجلة والفرات وأبر قباذ ودستميسان وقد اثبتت البصرة قدرتها وجدارتها في التصدي للفرس وايقاع الهزائم بهم رغم قلة جيوش المسلمين فيها. وكان ثمة تعاون بين البصرة والكوفة ففي الوقت الذي كان فيه جيوش الكوفة يعمل على فتح العراق من الشمال كان جيش البصرة يعمل على فتح جنوب العراق حتى وسطه. وبذا تتضح أهمية البصرة كقاعدة لتحرير جنوب العراق والمشرق.

ان ما حققه جند البصرة من انتصارات باهرة وما اظهره من قدرات كبيرة وتفوق كبير على الفرس جعلهم يشعرون بالخطر ويعملون على ايقاف العرب من التوغل باتجاه الاحواز فأوكلوا هذه المهمة الى الهرمزان[٣٠]. الذي انسحب بالفرس بعد هزيمتهم في القادسية الى الاحواز.[٣١] وفي الاحواز بدأ يهاجم جيوش المسلمين في جبهة البصرة[٣٢]. مما دفع المسلمين الى التفكير لتحرير الاحواز، وهو الاقليم الذي يمتد امتداداً طبيعياً لجنوب العراق[٣٣] وبالذات لسهل البصرة الرسوبي يؤيد ذلك ماجاء في رسالة عمر بن الخطاب (رض) حول بعض الاسرى من أهالي مدينة مناذر احدى مدن الاحواز إذ كتب عمر بن الخطاب الى المسلمين يقول لهم ((ان مناذر كقرية من قرى السواد)) فردوا عليهم ما أصبتم[٣٤] وعندما اكمل جند البصرة تحرير الاحواز خاطب عمر بن الخطاب أهلها قائلاً ((حسبنا لاهل البصرة سوادهم والاحواز وددت أن بيننا وبين فارس جبلاً من نار لا يصلون الينا منه ولا نصل اليهم))[٣٥]. وهذا دليل قاطع على ان الاحواز من العراق.

بدأ المغيرة بن شعبة بشن هجمات على سوق الاحواز بجند البصرة[٣٦] ثم أتم العرب تحرير الاحواز في ولاية ابي موسى الاشعري على البصرة (١٦-٢٩هـ/٦٣٧-٦٤٩م) حيث انهزم الفرس[٣٧] بقيادة يزدجرد واستقر بهم في اصطخر حيث اتخذها مركزاً لتحريض الفرس ضد الاسلام[٣٨] بغية اخراجهم من العراق والاحواز. واتصل بالهرمزان وطلب منه التوجه الى تستر[٣٩]. لكن العرب المسلمين لم يسمحوا للفرس ان يجتمعوا بيزدجرد فيصبح امر القضاء عليهم صعباً، اذ أسرع أبو موسى الاشعري الى تستر وحاصرها حصاراً قوياً دام عدة أشهر[٤٠] وكان الهرمزان قد جمع فيها قوة كبيرة جاءت من مختلف مدن فارس وطلب ابو موسى الاشعري النجدات فجاءته. وعندما استكمل تحشداته قاتل الفرس قتالاً شديداً فانهزموا ودخلوا خنادقهم، فاقتحمهم العرب المسلمون وتجمع الفرس في داخل اسوار المدينة واحاطهم العرب المسلمون[٤١]. ودخل العرب المسلمون من أحد مداخل المدينة السرية وفتحوا ابوابها من الداخل ومكنوا جيشهم من دخولها، ومنيت الفرس بهزيمة منكرة وأسر الهرمزان.[٤٢]

ثم زحف جند البصرة بقيادة أبي موسى الى السوس وجند يسابور ففتحوها صلحاً[٤٣] وهكذا فتح جند البصرة اقليم الاحواز العربية وعندها قال الخليفة عمر بن الخطاب ((وددت أن بيننا وبين فارس جبلاً من نار لايصلون الينا منه ولا نصل اليهم))[٤٤].

ويعد فتح اقليم الاحواز اصبح هذا الاقليم ممراً للجيوش العربية الاسلاميةالمنطلقة لفتح بلاد فارس ثم اصبح القاعدة الاساسية لهذه الجيوش.

وساهم جند البصرة المتمركزون بالاحواز بمشاغلة الفرس عن الجيوش العربية الاسلامية المتجمعة في نهاوند بناء على طلب من عمر بن الخطاب (رض) الذي كتب الى ابي موسى الاشعري ((اشغلوا فارس عن اخوانكم وحوطوا بذلك امتكم وارضكم واقيموا على حدود مابين فارس والاحواز حتى يأتيكم امري))[٤٥]. وأمر مجاشع بن مسعود الثقفي احد قواد أبي موسى في الاحواز بالسير من الاحواز والاقامة في منطقة غني أشجر وهو موضع مابين الاحواز ومرج القلعة، والاخيرة موقع قرب حلوان، لتأمين ظهر جيوش العرب المسلمين في نهاوند وتأمين مواصلاتها. وظل بقية قواد جيش البصرة في الاحواز، وهم سلمى بن القين وحرملة بن مريلة والمقترب الاسود بن ربيعة على حدود أصفهان واقليم

فارس[٤٦] وذبلك قطع جند البصرة أي امدادات قد تصل الى الفرس من اقليم فارس الجنوبية لانهم شكلوا وحدات منتشرة على طول الحدود مابين الارض المحررة وبين ماهو خاضع ليزدجرد. ولهذا الامر أهمية لانه قلل ضغط الفرس على العرب في نهاوند مما يسر انتصار العرب على الفرس في نهاوند.

وتمردت المناكق الفارسية مستغلة تجمع الجيش العربي في نهاوند، ومن بين هذه المناطق ماسبذان، فأعاد جند البصرة بقيادة ابي موسى الاشعري تحريرها بعد الانتهاء من معركة نهاوند. وذلك عند عودته من المعركة الاخيرة الى البصرة.

وللضرورات الحربية حرر ابو موسى في طريقه الدينور لانها حاولت اعاقة تقدمه الى ماسبذان. وأحسن العرب المسامون معاملة أهل الدينور واكتفوا بالجزية والخراج. وتصالحت السيروان مع العرب المسلمين على مثل صلح الدينور. وهكذا عمل الجند على القضاء على حركات التمرد ضد الدولة العربية الاسلامية وهيؤا الامن والنظام لسكان المناطق المحررة وضمنوا لهم حقوقهم المختلفة كالحرية الدينية والتملك وحفظوا اموالهم وارواحهم وبيوتهم وعفوهم من الخدمة في الجيش بعد ان كانوا يساقون الى الحروب سوقاً، كل ذلك لقاء الخراج والجزية.

ثم توجه جيش البصريين بقيادة ابي موسى الاشعري لفتح قم وقاشان لاهميتها العسكرية قبل التوغل في بلاد فارس وتأتي الاهمية العسكرية في فتح هذه المناطق ليحمي ظهيرة الجيش البصري من لجهة الشمالية وهو في طريقه لتحرير الاجزاء الشرقية والجنوبية في فارس. وانطلقت جيوش البصريين من قاشان الى اصفهان. ونجح العرب في تحرير اكبر مدينتين فيهما. ثم تمردت اصفهان في عهد عثمان (رض) فاعاد البصريون تحريرها.[٤٧]

قرر العرب المسلمون فتح اقليم فارس المحصن طبيعياً، لان فتحه يحرم الفرس من استخدامه قاعدة عسكرية ضد العرب المسلمين وقد اصبح فتح هذا الاقليم ضرورة عسكرية مهمة ايضاً لانه عرف بالغنى وموارده البشرية. وهو محصن من الناحية الطبيعية حيث تحصنه الصحراء من الشمال والشمال الشرقي ويحده الخليج العربي من الشرق.[٤٨]

كانت قاعدة البحرين قد حاولت تحرير اقليم فارس بمفردها وبعد ان نجحت قاعدة البصرة في ولاية ابي موسى الاشعري في فتح الاحواز وقم واصبهان...الخ مدت يد المساعدة لقاعدة البحرين لتحرير اقليم فارس.[٤٩] وتضاعفت المهمة في ولاية عبد الله بن عامر على البصرة حيث اوكل اليه عثمان بن عفان (رض) الاشراف على ادارة عمليات فتح الاقاليم الشرقية والجنوبية من فارس.

ولاهمية اصطخر السياسية والدينية للدولة الساسانية ولانها العاصمة الشتوية للفرس ومقر لزعامتهم وعلى رأسهم يزدجر[٥٠]، أصبح فتحها يعني القضاء على مركز القوة الفارسية وازال له اخر معقل من معاقل الفرس في اقليم فارس.

وكان عبد الله بن عامر قد تولى مهمة فتح اقليم فارس سنة ٢٩هـ/٦٤١م ونجح في فتح اصطخر بعد حصار قم دام عدة ايام واستجاب لطلب الصلح من قبل اهلها[٥١]. ثم تمردت اصطخر مستغلة انشغال عبد الله بفتح مدينة جور، حتى اذا فتحت المدينة المذكورة رجع الى اصطخر وقضى على المتمردين ودخلها جنود البصرة بعد ان احدثوا ثقباً في حصنها.[٥٢]

وتابع الجنود البصريون الفرس المنهزمين الذين تجمعوا في مدينة دار ابجرد فقهرهم وفتحت المدينة. وبذا تمكن الجند البصريون بقيادة عبد الله بن عامر من فتح اصطخر وقضوا على المتمردين ودحروا جنود الفرس وشتتوا جمعهم الملتقين حول قوادهم واساورتهم ودهاقينهم بامرة يزدجر، ودانت للبصريين معظم فارس.

ثم اتخذ عبد الله بن عامر فارس قاعدة لادارة عمليات فتح فارس الشرقية، حيث انطلقت جيوش البصريين لفتح كرمان فنجحت في فتحها. واستقر بعض البصريين فيها وعملوا على تعمير ارضها وزرعها.[٥٣]

ونظراً لاهمية مكران العسكرية حيث تتسلل منها الجيوش العربية الاسلامية الى سجستان ومنها الى خراسان، ولانها ثغر الهند والمدخل له، فقد ارسل عبد الله بن عامر والي البصرة من يستطيع له امر مكران ولكن المعلومات لم تكن مشجعة فعزف عن فتحها.

وفتح البصريون سجستان ليؤمنوا بذلك الجانب الشرقي لجيوشهم وليفوتوا على الفرس فرصة الالتفات على جيوشهم وهي تتقدم لفتح خراسان. وقد قرر البصريون فتح خراسان لان فتحها يعد المحور الاساس لكل العمليات الحربية لبلاد فارس لاهمية الاقليم بالنسبة للعرب وذلك لا لتجأ يزدجرد اليه بعد فتح العرب فارس وكرمان وسجستان واستقر يزدجر في مرو وجمع فلول الفرس ضد العرب المسلمين ولذا فقد كان فتح العرب لهذا الاقليم يعني القضاء على المقاومة الفارسية ضد العرب واكمال فتح فارس باجمعها[٥٤]. كما ان نجاح العرب في فتحه يعد اكبر انجاز تحققه الجيوش العربية القادمة من البصرة، لبعد الاقليم وسعته ولاهمية موقعه بالنسبة للشرق الاقصى من بلاد فارس. وسيحتل الطريق الرئيس للجيوش العربية الاسلامية المنطلقة نحو الشرق الاقصى. بدأ ضغط قاعدة البصرة على خراسان في ولاية ابي موسى الاشعري فوصلت الى اقليم الطبسين فدخل اهله الصلح مع العرب المسلمين.[٥٥]

وادرك الخليفة عثمان بن عفان (رض) الاهمية العسكرية لعمليات الفتح في الشرق ولذا فقد كتب الى عبد الله بن عامر والي البصرة بالتوجه لتحرير خراسان[٥٦]، فتوجه البصريون مجتازين الصحراء الكبرى شمال كرمان ووضعوا ايديهم على قوهستان احدى كور خراسان، المحاذية للحدود الجنوبية لخراسان. فدخلها جنود البصرة وطلب اهلها الصلح فكان لهم ما ارادوا[٥٧].

ثم توجه البصريون الى نيسابور اهم مدن خراسان، وقد ابدى البصريون الشجاعة والفداء من اجل نشر راية الاسلام وتمكنوا من فتح نيسابور وعقدوا معاهدة مع مرزبانها على جميع نيسابور.[٥٨]

اتخذ عبد الله بن عامر من نيسابور قاعدة لانطلاق البصريين الى بقية خراسان فأرسل مجموعة من السرايا لفح المدن الخراسانية الاخرى، ونجح البصريون في ذلك وعقدوا سلسلة من المعاهدات مع هذه المدن.[٥٩]

ان المتتبع للاحداث التاريخية التي رافقت عملية فتح خراسان يقدر عظمة التضحيات التي قدمها جند البصرة واهمية المسؤولية التي اضطلعوا بها وكانوا بذلك اهلاً لتحمل مثل هذه المسؤولية لفتح المشرق والتصدي لاعجاء الدولة العربية الاسلامية.

ولغرض استكمال فتح الاقاليم والمناطق في الشرق وللحيلولة دون قيام بعض العناصر الفارسية التي خسرت امتيازاتها بقيادة حركات تمرد وعصيان بعد فتح هذه الاقاليم والمناطق، فقد استوطنت بعض الجماعات من القبائل العربية البصرية في الاقاليم والمناطق التي فتحت في السنوات الاولى من حركة الفتوح، روى البلاذري ان عثمان بن أبي العاص أسكن بعض المقاتلين من الازد وتميم وعبد القيس في توج في اقليم فارس بعد ان فتحها.[٦٠] وعندما فتح مجاشع بن مسعود السلمي اقليم كرمان، اسكنه بعض القبائل العربية فعمروه وزرعوه.[٦١]

ولما كانت تميم قد ساهمت في تحرير خراسان منذ عهد عبد الله بن عامر والي البصرة فقد سكنت اعداد كبيرة منهم في خراسان[٦٢]. ولغرض تسهي ادارة خراسان وتسهيل تقديم الخدمات للمواطنين فقد قسم عبد الله بن عامر هذا الاقليم الى اربعة ارباع يدير كل ربع منها عامل خاص[٦٣]. وكان في كل ربع حامية بصرية مستقرة الى جانب العمل لغرض تثبيت قوة الدولة العربية. ويرجح العلي ان هذه الحاميات ((كانت حاميات مؤقتة))[٦٤].

اما عدد مجاهدي البصرة الذين ساهموا في فتح المشرق فقد ذكرت المصادر مايلي: ذكر ابن اعثم عدد البصريين الذين شاركوا في فتح الاحواز بلغ عشرة الاف مقاتل[٦٥]. بينما عدد الذين اشتركوا في فتح اصبهان كانوا سبع عشرة الف مقاتل. [٦٦] وبلغ عدد مقاتلي البصرة في عهد علي بن ابي طالب (ع) ستين الف مقاتل[٦٧].

الخاتمة:

نظراً لميزة البصرة الدفاعية الجيدة. واستقرار القبائل العربية المهمة فيها امثال بكر بن وائل وتميم. وكثرة المسالح الحربية المهمة، التي استفاد منها المسلمون؛ كل ذلك لعب دوراً مهماً في حركة الفتوح في البصرة والمشرق.

لعبت القبائل العربية في البصرة دوراً مهماً في مشاغلة الفرس، لمنعهم من ارسال امدادات، ومؤن فارسية لمحاربة جند الكوفة، وفسح المجال لهذا لتدمير الجيش الفارسي، وفتح العراق ومن ثم الانسياح الى فارس.

وبعد فترة اصبحت البصرة القاعدة الاولى لحركات الفتوح الاسلامية في المشرق. تليها الكوفة والبحرين. وكان ثمة تعاون بين البصرة والكوفة، ففي الوقت الذي كان فيه جيش الكوفة يعمل على فتح العراق من الشمال كان جيش البصرة يعمل على فتح جنوب العراق.

كان إقليم فارس يتمتع بحصن طبيعي، ولذا اصبح فتحه ضرورة عسكرية مهمة، لانه عُرف بالغنى والموارد البشرية، ومحصن من الناحية الطبيعية.

وتعد خراسان أهم اقاليم فارس، ولذا قسما عبد الله بن عامر، عامل البصرة، الى اربعة ارباع، لغرض تسهيل ادارتها والخدمات المقدمة للمواطنين. ويدير كل ربع عامل وحامية خاصة به.

أحسن المسلمون معاملة سكان المناطق التي فتحوها واكتفوا منهم بالخراج والجزية. وأعطوهم الحرية الدينية والتملك وحفظوا أموالهم واراواحهم وبيوتهم واعفوهم من الخدمة في الجيش بعد ان كانوا يساقون سوقاً وهم مربوطون على الخيول خشية الهروب من الحرب.

الهوامش:

(١) فتوح البلدان، بيروت، ١٩٧٨، ص٣٣٦، الطبري، تاريخ الطبري، جـ٣، (القاهرة، ١٩٦٩)، ص٥٩١.
(٢) ابن سعد، الطبقات، جـ٧، (بيروت، ١٩٥٧)، ص٦.
(٣) البلاذري، المصدر السابق، ص٣١٤.
(٤) احسن التقاسيم، (ليدن، ١٩٠٦)، ص١١٧.
(٥) نفس المصدر والصفحة.
(٦) ابن الكلبي، جمهرة النسب، (بيروت، ١٩٨٦)، ص١٨٩-١٩١.
(٧) ابو عبيد، معمر بن المثنى، النقائض، جـ٢، (ليدن، ١٩٠٥)، ص٩٣٠.
(٨) تاريخ الطبري، جـ٣، ص٣٤٧.
(٩) المصدر نفسه والجزء، ص٣٤٨.
(١٠) المصدر نفسه والجزء، ص٥٠٢- ٥٠٣.
(١١) المصدر السابق، ص٣٣٦.
(١٢) ابن الكلبي، المصدر السابق، جـ٣، ص٤٨٥.
(١٣) ابن حزم، جمهرة انساب العرب، جـ٢، (القاهرة، ١٩٦٢)، ص ص٤٧٨.
(١٤) صفة جزيرة العرب، (دار اليمامة، ١٩٧٤)، ص٣١٩.

(١٥) البلاذري، المصدر السابق، ص٣٣٦، الطبري، المصدر السابق، جـ٢، ص٥٥ و جـ٣، ص٥٩١.
(١٦) المصدر السابق، جـ٣، ص٣٤٨.
(١٧) المصدر نفسه والجزء والصفحة.
(١٨) الاصفهاني، الاغاني، جـ٢٠، (القاهرة، ١٩٢٨)، ص١٣٣.
(١٩) البلاذري، المصدر السابق، ص٣٣٥، الطبري، المصدر السابق، جـ٣، ص٣٤٧.
(٢٠) البلاذري، المصدر السابق، ص٣٣٦، الطبري، المصدر السابق، جـ٣، ص ص٥٩٠-٥٩١.
(٢١) الدينوري، الاخبار الطوال، (القاهرة، ١٩٦٠)، ص١١٦.
(٢٢) الطبري، المصدر السابق، جـ٤، ص ص١٢٤-١٢٥.
(٢٣) المصدر نفسه والجزء، ص١٢٥.
(٢٤) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، جـ١، (بيروت، ١٩٧٩)، ص١٣٢، البلاذري، فتوح، ص٢٥٦.
(٢٥) الطبري، المصدر السابق، جـ٤، ص٨١، ص١٢٧.
(٢٦) الطبري، المصدر السابق، جـ٣، ص٣٤٧.
(٢٧) خليفة بن خياط، المصدر السابق، جـ١، ص١١٨، الطبري، المصدر السابق، جـ٣، ص٥٩٣.
(٢٨) نفس المصادر السابقة والصفحات.
(٢٩) البلاذري، المصدر السابق، ص٣٤٥، الطبري، المصدر السابق، جـ٣، ص٥٩١.
(٣٠) الطبري، المصدر السابق، جـ٤، ص٧٢.
(٣١) كريستنسن، ايران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، (القاهرة، ١٩٥٧)، ص ص٤٨٦-٤٨٧.
(٣٢) الطبري، المصدر السابق، جـ٤، ص٧٢.
(٣٣) الاصطخري، مسالك الممالك، (القاهرة، ١٩٣٦)، ص٦٣.
(٣٤) البلاذري، المصدر السابق، ص٣٧١، ابو عبيد القاسم ابن سلام، الاموال، تحقيق: خليل هراس، (القاهرة، ١٩٦٨)، ص٢٠٥.
(٣٥) الطبري، المصدر السابق، جـ٤، ص٧٩.
(٣٦) البلاذري، المصدر السابق، ص٣٧٠.
(٣٧) المصدر نفسه والصفحة، خليفة بن خياط، المصدر السابق،، ص١٣٦.
(٣٨) الطبري، المصدر السابق، جـ٤، ص٨٣.
(٣٩) المصدر نفسه والجزء، ص٩٠.
(٤٠) خليفة بن خياط، المصدر السابق، جـ١، ص١٤٤.
(٤١) الطبري، المصدر السابق، جـ٤، ص٨٥.
(٤٢) خليفة بن خياط، المصدر السابق، جـ١، ص١٤٥، البلاذري، المصدر السابق، ص٣٧٣، الطبري، المصدر السابق، جـ٤، ص٨٥.
(٤٣) خليفة بن خياط، المصدر السابق، جـ١، ص١٤٠.
(٤٤) الطبري، المصدر السابق، جـ٤، ص٧٩.
(٤٥) المصدر نفسه والجزء، ص١٢٧، الاموال، لابن سلام، ص٢٥٣.
(٤٦) الطبري، المصدر السابق، جـ٤، ص١٢٧.
(٤٧) خليفة بن خياط، المصدر السابق، جـ١، ص١٦١.
(٤٨) الاصطخري، المصدر السابق، ص٧٣.
(٤٩) خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص١٦١، البلاذري، المصدر السابق، ص٣٣٨.
(٥٠) كريستنسن، المصدر السابق، ص٨٠.
(٥١) البلاذري، المصدر السابق، ص٣٨١.
(٥٢) البلاذري، المصدر السابق، ص٣٨٢، خليفة بن خياط، المصدر السابق، جـ١، ص١٦٢.
(٥٣) البلاذري، المصدر السابق، ٣٨٢.
(٥٤) البلاذري، المصدر السابق، ص٣٨٤.
(٥٥) المصدر نفسه، ص٣٩٤.
(٥٦) المصدر نفسه والصفحة.
(٥٧) المصدر نفسه والصفحة، الطبري، جـ٤، ص٣٠١.
(٥٨) خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص١٦٤، البلاذري، المصدر السابق، ص٣٩٥، الطبري، المصدر السابق، جـ٤، ص٣٠٢.
(٥٩) البلاذري، المصدر السابق، ص٣٩٥، الطبري، المصدر السابق، جـ٢، ص٣٠٢.
(٦٠) البلاذري، المصدر السابق، ص٣٨٣.

[٦١] المصدر نفسه، ص٣٨٤.
[٦٢] العلي، احمد صالح، استيطان العرب في خراسان، مجلة كلية الآداب والعلوم، (٣ حزيران، ١٩٥٨، بغداد)، ص٥١.
[٦٣] اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، جـ٢، (نجف، ١٩٦٤)، ص١٥٧.
[٦٤] المصدر السابق، ص٣٦.
[٦٥] الفتوح، جـ٢، حيدر آباد الدكن، ١٩٦٨، ص٤.
[٦٦] نفسه، جـ٢، ص٧٤.
[٦٧] الطبري، المصدر السابق، جـ٥، ص٧٩.

ثبت المصادر والمراجع:

أ- المصادر:

١- ابن اعثم، الكوفي، احمد بن عثمان، الفتوح، (حيدر آباد الدكن، ١٩٦٨).
٢- ابن حزم، علي بن احمد، جمهرة أنساب العرب، (القاهرة، ١٩٦٢).
٣- ابن سلام، ابو عبيد القاسم، الاموال، (القاهرة، ١٩٦٨).
٤- ابن سعد، ابو عبد الله محمد، الطبقات، (بيروت، ١٩٥٧).
٥- ابن الكلبي، جمهرة النسب، (بيروت، ١٩٨٦).
٦- أبو عبيد، معمر بن المثنى، النقائض، (ليدن، ١٩٠٥).
٧- الاصبهاني، ابو الفرج، الاغاني، (القاهرة، ١٩٢٨).
٨- الاصطخري، ابو اسحق ابراهيم بن محمد، مسالك الممالك، (القاهرة، ١٩٣٦).
٩- البلاذري، احمد بن يحيى، فتوح البلدان، (بيروت، ١٩٧٨).
١٠- الدينوري، احمد بن داود، الاخبار الطوال، (القاهرة، ١٩٦٠).
١١- خليفة بن خياط، ابو عمرو، تاريخ خليفة بن خياط، (بيروت، ١٩٧٩).
١٢- الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، (القاهرة، ١٩٦٩).
١٣- المقدس، شمس الدين، ابو عبد الله محمد، أحسن التقاسيم، (ليدن، ١٩٠٦).
١٤- الهمداني، الحسن بن احمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، (دار اليمامة، ١٩٧٤).
١٥- اليعقوبي، احمد بت أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي، (نجف، ١٩٦٤).

ب- المراجع:

(١) الكتب:

١- كريستنسن، آرثر، ايران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، (القاهر، ١٩٥٧).

(٢) البحوث:

١- العلي، احمد صالح، استيطان العرب في خراسان، مجلة كلية الآداب والعلوم، جامعة بغداد، ٣ حزيران، ١٩٥٨.